وفاة سينا موريا

في آب من عام 2000 وصلتني رسالة من فولكمار:

السيدة الأم العزيزة،
في مارس 22 توفيت والدتي بينما كانت في قبرص، فنقلها أصدقاؤها لتدفن في القدس.. علمت ذلك من خالي كونراد بلبير في شتوتغارت الذي حدثني على التلفون وقال لي بأن دائرة السجل السكاني في بون أعلمته بذلك بناء على طلبه، ولكن لم يحصل على مزيد من المعلومات بعد.. في اليوم التالي اتصلت بالدائرة فأعطيت رقم تلفون السفارة الألمانية في نيقوسيا فقيل لي بأن أمي كانت تحمل جواز سفر ألماني، ولكنها دخلت قبرص بجواز سفر اسرائيلي، وأخيرا استطعت التحدث مع السيد جلبشن في القدس فعرفت جلية الأمر. سآتي الى دمشق وأشرح لكم التفاصيل وجها لوجه. تحياتي القلبية،

فولكمار

جاء فولكمار لزيارتنا بعد فترة وجيزة، ومنه علمت بأن أمه لم تكف أبدا عن حلمها في أن يتحقق السلام في العالم.. وأنها كانت تسافر وتبشر بدعوتها في كل مكان حتى وهي مريضة.. وما بدأته في أولمبياد هلسنكي من حملها للشعلة وركضها في الساحة ووقوفها أمام المكروفون تدعو للسلام، استمرت به حتى آخر لحظة من حياتها.. وما أخبرتني به حين فسّرت لي سبب إطلاقها على نفسها اسم سينا موريا بأن اسمها يهدف الى أن يجتمع الشرق والغرب على الإيمان بوحدة الأديان وهاهي تدفن كما شاءت لها الأقدار أن تدفن في سفح جبل موريا الذي هو جبل الزيتون..

وكثيرا ما حدّثتني عن حلمها في أن يتحقق السلام في هذه المنطقة من العالم، مهد الرسالات السماوية، وأن تنهي حياتها كالقديسة تريزا راهبة في مجمّع في سيناء أو القدس يجمع بين الكنيس والكنيسة والمسجد يدخله الناس من أبوابه الثلاثة ويعبدون الله حسب ما اعتادوا من طقوس لأن الطريق الى الله واحد ولا يتغير الجوهر باختلاف

الطقوس فيتفاهمون جميعا من أجل مجد الإنسان.. ولعلها حدثت عن حلمها هذا كثيـــرين من زعماء العالم، سياسيين أو رجال دين أو عسكريين ممن كانت تقابلهم..

قال لي فولكمار حين جاء لزيارتنا:

–مررت بنيقوسيا وتعرفت على بعض من قابلتهم هناك.. أتصدقين أن أحدهم قال لي "ان أمك نبية، لم أجد انسانا مثلها لا بين العرب ولا بين اليهود من سعى للسلام بـــصدق وإخلاص كما فعلت".

لأول مرة أسمع فولكمار يمدح أمه، فكم أنبته على تصرفه العاق معها حتى أدى بها الأمر الى القطيعة معه! أردف قائلا:

–بودي لو أزور قبرها وأطلب منها الغفران عما أسأت به اليها! فقلت له:

–اياك أن تفعل هذا الوقت ليس مناسبا.. انك تسيء بذلك الى ذكرى والدك والى إخوتك.. ان أحدا منهم لن يقرّك على هذا الأمر، ولن تجد بيتنا مفتوحا لك لو فعلت ذلك.. قال وقد تعكر مزاجه:

–ان والدي قال لي أيضا أن الوقت غير مناسب كي يعترف بي، وها هو قد توفي دون أن أحصل على حقي الشرعي في الإنتماء اليه.. وها هي أمي قد لحقت به.. لو كنت قـــادرا على أن أقول أنني ابن لذلك الوالد وتلك الأم لتغيرت أمور كثيرة بالنسبة الى وضعي"..

–لن يتغير وضعك الاّ اذا تجاوزت عقدة الإمتحان وكنت بارزا في مجتمعك، ولهذا طريقة وحيدة وهي أن تكون جادا في الإستعداد له.. أنت شاب لامع، وعنـــدك صـــفات القاضي النزيه التي كانت لأبيك وجدّك.. في استقامتك وكبريائك ونزاهتك.. لا تقفز فوق الحواجز.. أكررما قلته لك في رسالتي التي حملها اليك صديقك المحامي رتـــشارد يـــوم زارنا، ليخبرنا فيها عن أحوالك، ورغبتك في المجيء عندنا لتـــتعلم العربيـــة وتتـــرجم الأعمال التي تركها والدك.. أنت تعيش في بلد يضمن العاطلين عن العمل حتى للغربـــاء اللاجئين اليه، فلماذا تتملكك الكبرياء أن تأخذ معونة الدولة، وتكف عن الأعمال التافهـــة التي تسرق وقتك وتتركك في قاع المجتمع.. تفرغ لدراسة جادة عاما أوعامين حتى تنال المؤهل العلمي الذي يفتح أمامك أبواب العمل اللائق بك.. أنت تتقن ثلاث لغـــات وهـــذا وحده كاف لتشق بها طريقك.. فلماذا تريد أن تضيع وقتك في دراسة لغة صعبة لتعـــرف دقائقها وتترجم عنها، وخصوصا لأعمال والدك التي تتطلب حتى من القـــارئ العربـــي

جهدا وثقافة لفهم محتواها؟ لقد تطلبت اللغة الروسية من يوسف عامين كاملين حتى أتقن لغة صعبة وأصبح يستطيع أن يفهم المحاضرات ويكتب بها بشكل صحيح وهي لغة علمية لا تتطلب جهد لغة الأدب.. فانفق أنت هذين العامين لدراسة العربية على دراسة كتب القانون وأنا واثقة أن نتائجك ستكون باهرة حينذاك، فمواضيعها لن تكون غريبة عليك.. ولا تظن أن والدك كان ينفق على دراسة أحد من إخوتك.. قطعوا الأشواك بمفردهم اذ كانوا أوائل الشباب الذين تخرجوا من جامعاتهم.. في ذلك الوقت كان راتب والدك التقاعدي لا يتجاوز خمسين دولارا وكانت له حقوق مدنية لم يطالب بها حتى لا يدّعي على الجيش الذي كان قائده وزوّده بالسلاح الكافي لحماية بلده، وحين توفي لم يكن في جيبه الاّ أربع وأربعون ليرة أي أقل من دولار وليس له أي رصيد في أي بنك أو صندوق توفير.. هذا في الوقت الذي كانت فيه أمك تعطيك نصف راتبها من مهنتها كطبيبة أي ما يعادل ألفا وخمسمائة دولار لتتدبر أمور سكنك ومعيشتك ودراستك.. ماذا كان ينقصك؟ لماذا فقدت الحافز للدرس؟ أهو الصراع في نفسك بين أوهام زرعتها أمك في نفسك عن الحياة وتعقيداتها، ومبادئ والدك الصارمة تجاه نفسه والآخرين؟ هل كنت تريد أن تعاقب كلا والديك بفشلك؟ كلاهما ليسا ملومين، ولكن الظروف أساءت اليهما.. لقد ولدت من قصة حب رائعة، وما حطّ والدك من قدر أمك أبدا.. وأنا كنت أحترمها وأقدرها وأتألم لعذابها في أنها فشلت لكسب ثقتك.. أتحسب أن الله لم يغفر لها هذا الحب التعس لوالدك؟ انها أحبته بكل جوارحها حتى مماتها وهو كذلك.. لقد عرفا كيف يصعّدا هذا الحب الى حب للإنسانية جمعاء. هي في طريقها لتكون داعية سلام، وهو في طريقه ليكتب تلك الكتب الرائعة فتكون دليلا لمن يأتي بعده لبناء مجتمعات إنسانية يتعارف فيها الناس ويتكافلون ويبنون سلاما حقيقيا لا يستعبد فيه انسان انسانا آخر.

والآن وقد عرفت رسالة والدتك وندمت على سوء تصرفك معها، ستغفر لك ما أسأت به اليها في أن تصعّد مشاعرك تجاه والديك، ويكون وضعك حافزا لك لتكون الرجل الذي طمح به كلاهما!

حدّثته أيضا عن قصة ولادة ذلك الحب كما قصتها علي أمه، يوم كانا على جبل نصب في قمته تمثال للمسيح.. لقد ركع كلاهما أمام تمثال المسيح، وصلى كل منهما حسب المذهب الذي ينتمي اليه.. هي البروتستنتية التي لا تؤمن بألوهية المسيح

وهوالمسلم الذي يؤمن بأن المسيح رسول وتعاهدا على الزواج وكان الله هو شـــاهدهما، وأنت ثمرة هذا الزواج! ولم تعرف رجلا غيره في حياتها أبدا..